الاستبداد السياسي

دراسة فلسفية بين ابن رشد وعبد الرحمن الكواكبي

الدكتور صباح حمودي نصيف

كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

المقدمة :

يعد الاستبداد ظاهرة قديمة قدم الانسان ومازالت مستمرة ، فهو أحد الاشكاليات التي تعالج من خلال الفكر الفلسفي والسياسي، فضلاً عن التاريخي، فهو يفرض ذاته من خلال الزمن الراهن سواء في السلوك أو في الممارسة وبكافة المستويات بدءاً من الأطار الفردي (العائلي) وصولاً إلى الإطار الجماعي (مستويات السياسة) وغيرها.

فالتاريخ العربي والغربي غنيان بالتجارب والدروس والعبر التي خبرتها الأمم والشعوب عبر العصور، فهو حافل بشواهد مختلفة ومتعددة ومتنوعة من الممارسات في الحكم والسلطة، لذلك فأن محاكمة هذا التاريخ تعد مسألة بالغة التعقيد لما تتطلبه من مقدرة ذهنية ورؤية عميقة للأحاطة به من كل جانب، فضلاً عما تفرضه من شروط الحياد والموضوعية بعد اشغال العقل بالبحث والتحليل والتمحيص وصولاً إلى استخلاص الدروس والعبر التي تبقى خاضعة للنسبية التي من خلالها تحكم الأشياء والظواهر.

عليه، فأن دراستنا في هذا البحث ستنصب على تحليل الاستبداد بعامة والاستبداد السياسي بخاصة عند كل من الفيلسوف ابن رشد والمفكر عبد الرحمن الكواكبي، ذلك إن الاستبداد عندهم يتحول إلى مفهوم أشمل وأعم ، ألا وهو الطغيان، بأعتباره وجهاً من وجهيه عندما يمتلك القدرة والقوة والسلطة ويصبح مقبولاً بالقسر والفرض، إلا أنه يحافظ على جوهر الرؤية الأحادية غير القابلة للنقد، ومن هنا نجده موجوداً في الحرية بأعتبارها استبداد الفرد، وفي الديمقراطية بأعتبارها استبداد الجماعة أو الكثرة.

أذن فقراءة كل هذه المعطيات قديماً وحديثاً عن تاريخية البحث حول الاستبداد واحداثياته ومواقفه ووثائقه لكلتا الشخصيتين تدفعنا إلى الاستنتاج أن الاستبداد السياسي بخاصة يتخذ ملامحة ومكوناته كظاهرة سياسية وكشكل من اشكال الصراع السياسي على السلطة ،إلا ان اهميته قد تركزت على عده وسيلة من الوسائل التخويفية ذات الطابع العنفي الشرس التي يستخدمها الطاغية المستبد من أجل الوصول إلى أهدافه وغاياته ، ومن خلال المحاور الآتية :

أولاً : الدلالة اللغوية والاصطلاحية للاستبداد.

ثانياً : تاريخية البحث في الاستبداد قبل ابن رشد .

ثالثاً : موقع دراسة الاستبداد وأسباب ظهوره في مؤلفات أبن رشد .

رابعاً : دراسة الاستبداد في مؤلفات عبد الرحمن الكواكبي .

المحور الأول : الدلالة اللغوية والاصطلاحية للاستبداد :

يجب أن لا يغرب عن بالنا أن كل تعريف من هذه التعريفات هو في حد ذاته تذهن تصوري للواقع المحسوس، وهذا يعني أن كل تعريف يقوم على تصورات وبالتالي فهو معرض للنقد التجريبي بمجرد أن يقاس بوقائع التجربة ومجرياتها الفعلية والعملية التي لا تلبث أن تظهر لنا بعض التفاصيل والعناصر التي لم يشملها ذلك التعريف والتي يمكن أن تكون في الغالب ذات قيمة أساسية لمعنى الاستبداد[١].

إذ أن التعريف الشامل والتام (للاستبداد) انما هو ادعاء كبير لا يقدر مدى صعوبته، الا من يدرك مدى تشعبه وارتدائه الأشكال المختلفة والمتعددة، فضلاً عن الأهداف المتناقضة التي يمكن أن يتسم بها.

يقول اللغويون : أن (الاستبداد يفيد الانفراد) أستبد به : أنفرد به، واستبد الأمر بفلان : أي غلبه فلم يقدر على ضبطه، واستبد بأميره : غلب على أمره، فلا يسمع إلا منه، ويقال استبد بالأمر أي استبد به استبداداً وأنفرد به دون غيره، ((واستبد الأمير بالسلطة أخذها لنفسه ولم يشارك فيها احداً، ولم يستشر احداً، فهو مستبد)) [٢].

فضلاً عن إن كلمة استبداد despotism مشتقة من الكلمة اليونانية ديسبوتيس despotes وتعني رب الاسرة أو سيد المنزل أو السيد على عبيده، حيث تفرعت منها كلمة المستبد[٣] despot، وهنا يشير الكثير من الباحثون أن كلمة المستبد قد خرجت عن النطاق الأسري إلى عالم السياسة لكي تطلق على نمط من أنماط الحكم الملكي المطلق التي تكون فيه سلطة الملك على رعاياه مماثلة لسلطة الاب على ابنائه في الأسرة أو السيد على عبيده[٤].

وبصورة عامة يعرف الاستبداد على أنه (الانفراد بالأمر والأنفة على طلب المشورة أو على قبول النصيحة) [٥]، فأذا كان الأمر متعلقاً بمصلحة الفرد نفسه فأن الاستبداد يأتي في الأغلب تعبيراً عن غرور المرء بنفسه أو عدم قدرته على الانفتاح والتبادل أو عن ارادته كتم حقيقته عن غيره، أما إذا كان الأمر متعلقاً بتدبير مصلحة جماعة معينة فأن الاستبداد يعني (التصرف المطلق في شؤون تلك الجماعة بمقتضى المشيئة الخاصة والهوى) [٦]، وفي هذه الحالة لا يبتعد معنى الاستبداد عن معاني الاعتساف والتحكم والاستبعاد والسيطرة التامة.

اما الوجه الآخر للاستبداد فهو الطغيان ويعرفه اللغويون بالاتي :

طغى – طغياً، وطغياناً : جاوز الحد المقبول (أطغاه) المال والسلطان : جعله طاغياً (تطاغى) الموج : هاج ، و (الطاغوت) : الطاغي المعتدي أو كثير الطغيان، و (الطغيان) : تجاوز الحد من الظلم[٧].

في حين نجد أن الاصطلاحين قد عرفوا (الاستبداد)، كما جاء في التراث العربي الإسلامي، فيبرز له معنيان الأول : يجعله مقابلاً للشورى وهي استطلاع الرأي لذوي التجربة والبصيرة في شؤون الحكم، وهذا المعنى يبق مذموم لأن المشورة هنا تخلص من الهوى وتفضي إلى القرار السديد ، لكن في المعنى الثاني : أمر واقع بحيث يجعله مقابلاً للمشاركة في الحكم القائم على تغلب عصبية قبلية معينة، وهو ما قصده ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦م) عندما تحدث عن أطوار الدولة وحدد الطور الثاني منها بأنه طور الاستبداد الحاكم على قومه والأنفراد دونهم بالملك[٨].

أما في الفكر السياسي الغربي الحديث فأن الحاكم المستبد هو الحاكم الذي لا يتقيد بقانون أو بقاعدة ثابتة، ويفرض ارادته على المحكومين بدون خشية حساب أو تبعه، وهنا نلاحظ أن مفهوم (الاستبداد) يختلط بمفهوم (الطغيان) في كثير من الأذهان والنصوص ولكن في الحقيقة يشمل مفهوم الطغيان بمعناه العام على عنصرين لا نجدهما بالضرورة في الاستبداد وهما (القهر والجور)، فالاستبداد من حيث هو تصرف غير مقيد وتحكمي في شؤون الجماعة السياسية ، يبرز ارادة الحاكم وهواه ولا يعني بالضرورة ان تصرف الحاكم ضاغط بعنف على المحكومين، مع العلم ان الطاغية يعني في بعض النظريات هو الحاكم الذي يتولى الحكم بصورة غير شرعية، ولكنه يحكم بموجب القوانين النافذة، وهنا نشأت فكرة الحاكم المستبد العادل، وفكرة المستبد المتنور[٩].

ونجد أيضاً أن الاستبداد في اصطلاح السياسيين بأسلوب (المرادفات والمقابلات) هو تصرف فرد أو جماعة في حقوق القوم بالمشيئة وبلا خوف تبعه، وقد تطلق مزيدات على هذا المعنى الاصطلاحي ، فيستعملون في مقام كلمة (استبداد) كلمات : استعباد، واعتساف، وتسلط، وتحكم، وفي مقابلتها كلمات : مساواة، وحس مشترك، وتكافؤ، وسلطة عامة. ويستعملون في مقام صفة (مستبد) كلمات : جبار، وطاغية، وحاكم بأمره، وحاكم مطلق . وفي مقابلة (حكومة مستبدة) كلمات : عادلة، ومسؤولة ، ومقيدة، ودستوريه. ويستعملون في مقام وصف الرعية (المستبد عليهم) كلمات : إسرى، ومستصغرين، وبؤساء، ومستنبتين، وفي مقابلتها : احرار، وأُباة ، وأحياء، واعزاء[١٠].

المحور الثاني : تاريخية البحث في الاستبداد قبل ابن رشد :

من خلال قراءتنا لنصوص الفلاسفة افلاطون وارسطو وصولاً إلى ابي نصر الفارابي (ت٣٣٩هـ/ ٩٥٠م) نجد أن (السياسة) في كتاباتهم قد شكلت المقصد الأسمى لكل فلسفة عظمى، إذ كانت الاسئلة التي يطرحونها باستمرار هي : ما هو المبدأ الاساسي للتنظيم السياسي؟ وما هي الروابط التي تربط الحكام والمحكومين؟ وأين تكمن ماهية السلطة؟ وغير ذلك .

فأفلاطون (ت٣٤٧ق.م) في محاورة الجمهورية يبين أن المستبد هو الذي يستولي على السلطة بالقوة ويمارسها بالعنف بعد أن يسعى إلى التخلص من اخطر خصومه، اذ ان الضمانة المثلى للجور والطغيان والتعسف تكمن في ترشيد السلطة وعقلنتها، ولهذا يتعين على السياسي أن يقوم على (العلم والكفاءة) لأن المدينة لا يقدر على حكمها الا السلطان العاقل، لذلك جعل الفلسفة مرشداً أميناً للمسلك السياسي، وبنفس الوقت رأى أن كل مسائل السياسة هي مشاكل سلطانية، فضلاً عن أن العدل في نظره لا يتطابق دوما مع الشرعية القانونية ، لأن الحكم بموجب القوانين ليس ضرورة بحكم صالح، فالذي يشرع السلطة بحسب رأيه هو العلم والكفاءة، ولهذا بات في نظره ويتابعه في ذلك الفيلسوف ارسطو (ت٣٢٢ق.م) في كتابه السياسة، بأن الدستور الأفضل يجب أن يتماشى مع الملكية والارستقراطية اللتان ترتكزان على الفضيلة، وبالتالي فأن (الاستبداد) يكون هنا متعارض مع وجود الفضيلة والحكمة والاعتدال، لأن سياسة القوة أو العنوة تعد الأساس التي تبنى عليها السلطة، فالمستبد يظهر وكأنه معادياً لكل تعليم فلسفي[١١].

ويبين افلاطون ، أن الدساتير البسيطة التي توجد بموجبها المدن هي خمسة انواع، الأول هو (الدستور الفاضل)، والثاني هو (الدستور القائم على المجد والشرف) [١٢]، والثالث هو (حكم القلة)، والرابع هو (الحكم الجماعي)، فضلاً عن الخامس وهو (الاستبداد) [١٣]، وسوف نفصل ذلك في المحور الثالث.

ويبين د. حسن مجيد العبيدي، أنه إذا وجد في هذه الحكومة الرجل الذي تتوفر فيه هذه الخصال الخمسة مجتمعة وهي (الحكمة، وجودة الفطنة، وحسن الاقناع، وقوة المخيلة، والقدرة على الجهاد)، فضلاً عن أنه يكون تام الاعضاء الجسدية في أدارة الاعمال الجهادية، عندها يكون ملكاً مطلقاً، وأن حكومته هي حقاً حكومة ملكية، ولكن أن كانت هذه الخصال موجودة بصورة متفرقة وفي أكثر من رجل، فأن الأول سيعاون في كمال هذه المدينة من خلال حكمته، والثاني من خلال جودة فطنته وهكذا حتى الخامس، وعندها لابد أن يوآزر الواحد منهم الآخر في أقامة الدستور والحفاظ عليه، وعندها يدعى الحكام صفوة الأمراء وحكمهم يسمى حكم الأخيار – أي الحكومة الديمقراطية وهذا ما بينه افلاطون، ونجد هنا أن د. حسن مجيد العبيدي يبين لنا أن ابن رشد (ت٥٩٥هـ/١١٩٨م) أخذ يحاذي الفارابي في هذه المسألة محاذاة لا يغفلها أي دارس لتراثهما، لان ابن رشد قد وضع مؤلفات الفارابي نصب عينيه ، ولاسيما كتبه (المدينة الفاضلة، وتحصيل السعادة، والسياسة المدنية، وفصول المدني) [١٤].

وقد يحدث أن رئيس المدينة قد يبلغ مرتبة الملك، ولكنه يمتلك العلم بالسنن التي يضعها واضع الشرائع أو النواميس والذي يمتلك قوة الاستنباط للأحكام التي لم ينص عليها واضع النواميس في أي قضية جزئية، لأن هذا النوع من العلم يسمى بعلم الفقه ، فضلاً عن أنه من

يمتلك هذه الخصلة ومعها القدرة على الجهاد سمي هذا الرجل بملك السنن أو ملك الشرائع[١٥]، لأن الدستور الذي يقوم على طلب المجد والشرف، هو الذي يعين أهل المدينة بعضهم بعضاً بغرض الحصول على السمعة الحسنة والاعمال الصالحة، وهذا الشكل من الشرف هو الجدير بالنظر والاعتبار لأن الغاية القصوى للمدينة التي تحكم بالشرف وتوزع فيها الرئاسات على هذا الشكل، انما يكون حكمها أقرب إلى المدينة الفاضلة، ومع ذلك فأن وجد اختلاف بينها وبين المدينة الفاضلة فلأن المدينة الفاضلة لا يعتبر الشرف فيها غاية بحد ذاته، وانما هو مرتبط بالفضيلة، ولكن المدينة التي تحكم بالشرف يكون الشرف هنا غاية لذاته وغير مرتبط بالفضيلة، ويبدو ان الأشياء الأكثر ضرورية والتي تستحق الشرف هي أن يكون مشهوراً بالغلبة[١٦]، فالرجال الذين سيحكمون مثل هذه المدن بخصال الشرف سوف يقترن حكمهم بكل شيء وان كان اولئك لا يمكنهم من ان يكونوا احراراً، وبذلك فهم سادة من جانب وعبيد من جانب آخر.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه، من هو الطاغية المستبد؟ وكيف نحدد أوصافه وممارساته؟ فأفلاطون يعده بأنه كائن حيواني ينشغل بالملذات المتقلبة، وهو نقيض الروح الخالدة، فضلاً عن أن مدينته – مدينة شقية والعلاقة التي تكون بين الحاكم والمحكومين هي علاقة السيد بالعبيد، وهنا نلاحظ أن الفلاسفة اللذين جاءوا بعد افلاطون اخذ يدينون سلطة المستبد باسم الحكمة الفلسفية، لأنها تتعارض مع العنف الاستبدادي[١٧]، ولهذا فأن شراح محاورات افلاطون قد ظنوا ان الفلاسفة في هذه المسألة يعارضون جذرياً أي لجوء إلى القوة في السياسة، فضلاً عن أنهم يرفضون أن يسود قانون الأقوى بلا عدالة أو حكمه[١٨].

لذلك كان لأفلاطون وأرسطو فضلاً عن الفارابي تصور عضوي عن وجود الدولة المستبدة، فإذا كانت صغيرة فهي تتضمن حكماً جمهورياً، أما إذا كانت دولة متوسطة فهي تتضمن حكماً ملكياً، وإذا كانت كبيرة شاسعة ومترامية الأطراف فهي استبدادية بالضرورة، وبناءاً على هذا نادوا بأن لا يجوز للسلطة أن تتعدى على المدينة، لأن المدينة هي الوحدة التامة التي تتمتع بالجمهورية الفاضلة، حتى تتحول معها إلى مدينة فاضلة[١٩].

أذن فالاستبداد يُعد قطيعة وتفكيك لهذه الكلية الاخلاقية، فضلاً عن أنه يمثل تفكيكاً للأواصر بين الكل والأجزاء، وبين المجموع والأعضاء، لأن فقدان الانسجام الذي يوجد بين الفرد والدولة، والأرادة العامة بالأرادة الخاصة، أنما يجعل الحكم غير معبر عن الجميع، فضلاً إلى أنه يغدوا تعبيراً عن أرادة استبدادية تعسفية، ولا يكون بين الحاكم والمحكومين أي تباين، بل يكون بينهما تضارب في المصالح، وهكذا تثار بوضوح علاقة الاستبداد بالعدالة لدى القدماء، لأن (الاستبداد) في نظرهم يعد شراً مطلقاً لا لأنه ينقض على الحريات الذاتية والفردية فحسب، بل لأنه يتسبب بإرتهان العقل وتغريبه، ولهذا ترجموه بالظلم[٢٠]، ويبدو أن مصطلح (الاستبداد أو المستبد) قد ظهر بادء الأمر أبان الحرب الفارسية الهيلينية في القرن الخامس قبل الميلاد وكان

ارسطو هو الذي طوره وقابل بينه وبين الطغيان، على اعتبار أن الاستبداد عنده هو النظام الملكي عند (البرابرة) الذي يحكم رعاياه كالعبيد، فضلاً عن انه يتسم بسمة آسيوية ويتجلى بخضوع المواطنين بارادتهم للحاكم، لأنهم عبيد بالطبيعة، ولهذا تعد الامبراطوريات الآسيوية الاستبدادية بحسب رأيه معمرة لأنها تعتمد على قبول ورضاء ضمني من رعاياها الذين يحكمون بواسطة القانون ويعاملون كما يعامل رب الأسرة اولاده القاصرين أو كما يعامل السيد عبيده، فهو يعد الاستبداد حالة مرضية شاذة عند اليونانيين، لكنه يعده حالة طبيعية عند الآسيويين، لأن اليونانيين أول من ادخل هذا المصطلح (الاستبداد او المستبد) في قاموس السياسة، وسرعان ما بدأ بالانتشار نتيجة لترجمة مؤلفات ارسطو ولاسيما كتابه (السياسة)، أما مصطلح (الطغيان) فقد كان أكثر المصطلحات استخداماً طوال العصور الوسطى لوصف الحاكم الظالم الشرير أو المغتصب ، لأن غايته هي المصلحة الشخصية للملك ، لا لمصلحة المحكومين، فهو هنا يقبل بأي نظام الا الطغيان المفرط لانه حكم فردي يقوم على العنف ويستهدف مصلحة الطاغية الخاصة[٢١].

المحور الثالث : موقع دراسة الاستبداد واسباب ظهوره في مؤلفات ابن رشد[*]:

بعد أن بينا تاريخية الاستبداد عند افلاطون وارسطو والفارابي ننتقل إلى محور آخر وهو كيفية دراسة الاستبداد عند الفيلسوف ابن رشد (ت٥٩٥هـ/ ١١٩٨م)، إذ يبين ان الاجتماع القائم على السياسة الجماعية – أي الحكم الديمقراطي او حكم الجمهور بحسب الاصطلاح العربي القديم، فغايته أن يكون الفرد فيه حراً من أي قيد، وهذا يعني أن المرء يفعل أي شيء ترغب فيه نفسه وسوف تتوفر في هذه المدينة كل الاشياء التي تتوفر في بقية المدن، وبالتالي سيقوم فيها أناس يرغبون في المجد والشرف، واناس يرغبون في امتلاك المال، وآخرون يرغبون في التسلط والاستبداد، ولربما نجد فيهم من يمتلك سائر الفضائل[٢٢]، ولهذا نرى أن معظم المدن الموجودة اليوم هي من صنف السياسة الجماعية، وان الشخص الذي يقودهم بصورة صحيحة هو الذي بيده سلطة القول والفعل، فضلاً إلى ذلك نلاحظ أن الناس سوف ينقسمون إلى صنفين : الأول يدعى بصنف الجمهور، والثاني يدعى بصنف السادة، كما هو الحال في العديد من المدن في زماننا وفي مثل هذا الحال فأن الجمهور سوف يسلبون وينهبون من قبل السادة، أما السادة سوف يستكثرون في الاستيلاء، مما يتحول أمر هذه المدينة معه الى الاستبداد، لكن المدن المستبدة، هي المدن التي يقوم اجتماع أهلها وقهرهم على غايتهم – أي ان غاية المستبد هو الحصول على مآربه الخاصة سواء بالرغبة في الغلبة أو الرغبة في الشرف أو الرغبة في الثروة أو الرغبة في اللذة أوكلها بالجملة، ومن البين ان اهل هذه المدينة لا يسعون إلى أي غاية سوى خدمة المستبد وتنفيذ رغباته وارادته ولهذا فأنهم اشبه بالعبيد، وان اجتماع اهل المدينة هو مضاد

بالكلية لاجتماع أهل المدينة الفاضلة، لأن اجتماعهم غايته ان ينال كل واحد فيها السعادة وفقاً لقابليته الطبيعية التي تؤهله لذلك[٢٣]، إذ أن غرض أهل المدينة الفاضلة وأسرها هو الغرض الجيد لنوع واحد من الرجال وهم الحكام فقط، ولهذا فأنها تشبه نوعاً ما المدينة المستبدة، لأن المدينتين (الفاضلة والمستبدة) كلتيهما تقومان على رئيس واحد فقط يحكمها ، ومن هنا جاءت اشارة ابن رشد لها، لذلك فأن كل واحد من هاتين الفئتين (الجمهور والملوك) في المدينة الفاضلة يبغي عون الآخر لاجل بلوغ السعادة، وهذا يعني أن الناس إنما يخدمون السادة حتى يتسنى لهم بلوغ غاية الفلسفة، بينما السادة يرشدون أهل المدينة نحو بلوغ السعادة وهو ما يسمى بالارشاد، لكن في المدينة المستبدة فالأمر مختلف، لأن في هذه المدينة لا يسعى السادة فيها إلى غرض مع أهلها سوى بلوغ أغراض السادة، ولهذا فأن التشابه موجود بين المدن الأمامية – أي المدن الارستقراطية والمدن المستبدة، لكن في الاغلب يقود الاجزاء الامامية الموجودة في هذه المدن الى ان تتحول الى قوة مستبدة، ولهذا يقال عنهم أنهم ذو سمعة رديئة[٢٤]، فالمستبد هنا يستعين بأعوان له، لأنه ومن خلالهم يتم الاستبداد للناس بعامة، ومع ذلك فأن الذي يحدث هو أنه لن تكون هناك أية فرصة لوصول هؤلاء الاعوان إلى رئاسة الاستبداد هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فمن المحتمل أن تكون لهؤلاء الاعوان فائدة في حكم الاستبداد وأن يأتي ترتيبهم المختلف في هذا الحكم بما يتناسب وغاياتهم في الاستبداد، إذ أن هذا النوع من الاستبداد هو الأكثر ظهوراً، وبخاصة في الأيام الأولى من الاستبداد، أي أن الاشداء فيها من القاهرين مع الملك يغلبون أهلها ويقهرونهم، وربما يساعد المغلوبون بعضهم بعضاً في تقوية دعائم الاستبداد على الأمم وليس قهر بعضهم بعضاً، وهذه هي المدن المستبدة وأنواعها[٢٥].

أما المدن القائمة على اللذة، فأنها تلك المدن التي غاية أهلها هو الحصول على اللذات الحسية من المأكل والمشرب وغير ذلك، ومثلها المدن القائمة على الضروريات، فهي المدن التي يسعى اهلها إلى الحصول على ما هو ضروري كالفلاحة والصيد او اللصوصية، ومع ذلك، فأن الفلاحة هي اكثر طبيعية من تلك للحصول على ما هو ضروري، ولكن هذه الدساتير مختلفة فيما بينها تبعاً لاختلاف ميول النفس، في حين أن سبب وجودها – أي هذه المدن ليس بالضرورة تعدد ميول النفس، فمثلاً القوة الغضبية – هي تلك القوة التي تحب المجد والشرف واذا ما أفرطت تكون مستبدة، فضلاً إلى أن الرغبة في اللذة والمال تعود ضرورة إلى القوة الشهوية، ولهذا فأن قيام المدينة الجماعية ووجودها، انما يعود إلى الاختلاف في ميول النفس، وإذا كانت قوى النفس منفصلة بعضها عن البعض، فأن القوة الشهوية لا وجود لها بسبب تحكم القوة العاقلة، وبها يكون الاجتماع الانساني – اجتماع الاحرار، لان الاجتماع الإنساني يكون اجتماعاً قائماً على الشرف أو هو اجتماع (الأطرون) [٢٦]، وإذا كانت القوة الشهوية هي المتحكمة في النفس فأن الاجتماع يكون قائم على المال والغنى، أو هو الاجتماع القائم على طلب اللذة وهو

الاجتماع السائد، لأن السيادة على قوى النفس ومرجعها إلى القوة الناطقة، لذلك تكون المدينة التي يحكمها هذا الجزء هي ما تسمى المدينة الفاضلة، وبحسب رأي افلاطون أن الحكم هو الحكم الذي تتحول إليه المدينة الفاضلة، لأن أهله يفضلون الوجاهة وقهر الغير وحب السلطة، ولهذا يقولون أن حب المجد والشرف هو الغاية التي تصدر عن حكم النصراء أي (الاصدقاء)، لذلك فأن الإنسان الفاضل هنا لن يكون قادراً على اعتزال هؤلاء المحبين للجاه والشرف، ولاسيما عندما تربطه بهم صلة رحم ولزمن طويل، ولكن ان حب الشرف والمجد أصبح مغلوباً فيهما حتى يصل إلى حد الاستبداد[٢٧].

كما يشير افلاطون إلى الرأي نفسه ، حول كيف يتحول الرجل الذي يشبه الدستور الفاضل، أي (الفيلسوف) إلى الرجل الذي يشبه الاجتماع القائم على الجاه والشرف – أي ذلك الرجل الذي تقوم سعادته على الشرف، لأن مدينة المجد والشرف ستبقى تتجنب ذلك الظلم والشر، ولهذا فأنها نوعاً ما قريبة من المدينة الفاضلة، بينما مدينة القلة تكون بعيدة عنها لما فيها من الشرور التي تصيبها[٢٨].

ومن هنا يبين افلاطون ان المدن الجماعية تتحول بعامة الى الاستبداد والمدن المستمدة، وأمر تحول المدينة الجماعية الى مستبدة انما يشبه تحول دستور القلة الى دستور جماعي، لانهما من صنف واحد، وبصورة مماثلة، فأن سبب تحول الدستور الجماعي الى استبدادي، انما يعود للأفراد في طلب الحرية، وذلك لأن كل شيء مفرط يخرج عن حده الملائم وينقلب إلى ضده، وهذا الشيء ليس موجوداً في الاشياء الارادية فحسب، وانما في الاشياء الطبيعية أيضاً[٢٩]، لذلك فأن المدينة الجماعية انما يكون تحولها وسطاً بين المدينة الغنى والمال والمدينة المستبدة، على اعتبار أن أي واحد يولد في المدينة الجماعية يشرف ويقيم وليس لاحد سلطان عليه، بل يكون سيداً على نفسه، أذن، هذه هي طريقة هذا النوع من الحكم عندما تكون فيه الحرية متدفقة، أي انهم ينشغلون ببيوتهم وأسرهم وبكل الأنواع الموجودة بينهم، وهؤلاء جميعاً متساون فيما بينهم ويلغون كل دستور حتى لا يتحكم فيهم أي سيد على الاطلاق، ولهذا السبب وجب على الحكام أن يكونوا حذرين حيال ولادة مثل هذه الفئة في المدينة.

ويبين افلاطون هنا أن في هذه المدينة توجد ثلاث فئات من الرجال ممن يولدون فيها ويعطونها أقوى الدعم لكي تتحول الى مدينة مستبدة، فمثلاً الفئة الأولى وهي فئة ذكور النحل الذين استسلموا بصورة مطلقة لرغباتهم، فهم فئة الحكام في تلك المدينة، وهم أهل الشرف والمجد، أما الفئة الثانية والتي تستحق كل زجر وتوبيخ، وهي الفئة التي لا هم لها سوى طلب المال، في حين ان الفئة الثالثة وهي الجمهور بعامة الذين يكرسون أنفسهم لاعمالهم، وليس لهم اعمال سوى أنهم لا يملكون الاملاك وهم مغلوبون على أمرهم في تلك المدينة ، فالفئتان الأوليان تجتمعان لتسرقا وتنهبا ما تملكه الثالثة، سوى ان الفئة الأولى هنا تقوم بذلك خارج رغبتها،

والثانية تهدف إلى أخذ ممتلكاتها لكي تتقدم في مراكزها، هذا التقدم انما يعتمد فقط على مدى امتلاك هؤلاء السلطة على الجمهور في تلك المدينة ، ويكونوا قادرين على سرقة ما يملكه الرجال الاغنياء وتوزيعه بين عامة الجمهور، وعندما تقوم الفتنة ويعم الشقاق واللصوصية والنهب، عندها يرى الناس بعامة تسليم امرهم الى رجل عظيم(٣٠)، ويعظمونه ومثل هذا الرجل لا يتوقف قليلاً عن تغيير حال المدينة وعن ضمان الحرية المفرطة الى ان يستعبد معظم الناس، وبهذا يصبحون هم انفسهم مستبدين تماماً، عندها يتحول هذا العظيم عندهم الى حاكم مستبد ، بعد ان يجد الناس بعامة انهم صاروا اتباعاً له، وفي ذلك يصب اذاه على من يريد فيعاقب ويوبخ ويقتل من يرغب، وبهذه الطريقة، فأنه لا يتورع في ان يجلب الى داخل الاستبداد فئة ما من الرجال ضد آخرين، وعند حدوث ذلك فأن الفئات الموجودة في هذه المدينة يتم عزلها، ولاسيما فئة اصحاب المال والملكية كونها الفئة الاكثر كرهاً الموجودة في المدينة، فهو يفعل ذلك على طول الوقت إلى ان يصبح عدواً لكل الناس وكارهاً لهم، ولكن بعد مرور الأيام اما أن يتآمروا عليه أو يقتلوه أو يحكمهم كلهم فيستبد بهم ويكون مستبداً تاماً(٣١)، وعلى سبيل المثال كيف كان الحكم (جماعياً) في مدينة قرطبة بعد ستة وخمسمائة من الهجرة، ولكن بعد اربعين سنة، أي في عام أربعين وخمسمائة تحول الى حكم قائم على (الاستبداد).

وهنا نلاحظ ابن رشد يأخذ عن أفلاطون بأن من شيمة هذا الرجل قهر كل الناس لكي يجعلهم يتمسكون بالدستور حتى يظن المرء انه ليس بمستبد، وانما يبغي التوجيه والارشاد الصحيح للناس بعامة عن طريق توزيع الملكية والفوائد فيها بينهم، وليست لديه أية نية سوى الاعتناء بكافة الناس وتحسين المدينة، وهنا يكون المستبد محكوم في احدى الحالتين : اما عدم العيش، أو العيش مع الرجال الاشرار والضالين الذين يكرهونه، وهذا هو الأمر الوحيد برأي المستبد الذي تبتهج به حياته، ما دام كره عامة الناس له يزداد شيئاً فشيئاً، فلابد من ان يكون له أعوان اشرار واشداء وبعدد كبير، حتى يكون اكثر طمأنينة وأمناً، ليقصي الناس بعامة، وهؤلاء يأتي بهم من كل مكان بشرط أن يقدم لهم العطاء وقد يكونوا مقربين منه(٣٢).

ويبدو أن كل ما يفعله الحكام المستبدون من تصرفات هو واضح لاهل زماننا، ليس من خلال القول فحسب، وانما من خلال الادراك وبداهة الحس ايضاً.

وبعد أن بينا كيف تتحول المدينة الجماعية الى استبدادية، ننتقل الان الى الرجل الذي يشبه هذه المدينة، وكيف أنه يتحول من ذلك الرجل الذي كان احد حكام المدينة الجماعية وطريقة حياته في الشقاء وقلة السعادة، بحيث تشبه دستور المدينة المحكومة بالاستبداد؟ وهنا يلاحظ أن افلاطون قد حدد هذا الرجل، بأنه رجل ممتلئ بالرغبات الغير ضرورية، وهذه الرغبات الغير ضرورية هي تلك التي تستيقظ عند النوم أي القوى المتوحشة – (وهي الشهوات التي تثور في النوم ويكون القسم العقلي الأليف .. نائماً)، وتلك هي الطريقة التي يتم بها تحرير هذه القوى

المتوحشة من عقلها عند النوم من تحكم القوة العاقلة، لأنه من المحتمل ان يكون هناك شيء يخفيه من السيطرة على ما تشتهيه عندما تستقيظ من النوم، هذا من جانب، ومن جانب اخر، اذا كان هذا الرجل يسيطر على هذه القوى في حالة لا تشبه الحالة الاولى أي المستبد الذي تطغى فيه شهواته على عقله، بأن تكون القوة العاقلة لديه متحكمة دائماً سواء في النمو أم في اليقظة عندها سوف لن يقرب الى أي رأي يخالف الدستور، وبذلك نكون قد شبهنا بين الرجل المتوحش والرجل الآلهي[٣٣].

ومن هنا نلاحظ انه إذا كان هذا الرجل الذي تربى بين أناس ممتلئين بكل رغبة غير ضرورية وكان طبعه أجود من طباعهم، وابوه كان يقوده في الحياة نحو طريقته، وهم يقودونه خلاف ذلك، فانه سيتحول إلى شيء ما وسط بين كلا النوعين، ويأخذ من كل منهما ما يلائمه وما يظنه متساوياً، وبذلك تكون طريقته في الحياة لاهي بطريقة من ليست له حرية، ولا بطريقة من يتجاوز الدساتير، وعليه فانه سيتحول من ذلك الرجل الذي ينتمي الى أهل دستور القلة الى الرجل الذي ينتمي الى المواطنين الاحرار[٣٤].

وبعد ذلك تكون حالة المستبد تشبه حال الرجل المضطرب والمخمور، فضلا عن أن طباعه تشبه طباع الناس المضطربين والسكارى، ولهذا السبب فأن امثال هؤلاء الرجال المختلي العقول يرغبون أن يبسطوا حكمهم ليس فقط على الناس بعامة، وانما حتى على الملائكة أن كان ذلك ممكناً لهم في الحصول على كل شيء يريده ومن أي مكان، حتى وان كان لدى ابويه شيء، فأنه سيأخذه منهما سواء بالاقناع أو بالسرقة أو القوة، وإذا رفضا وامتنعا من اعطاء ذلك فأنه سيخطط لقتلهما أو الاستبداد بهما[٣٥]، فضلاً إلى ذلك فأن قواه الشهوية سوف تقوده إلى أشياء اخرى الا وهي سرقة ونهب حتى بيوت العبادة ومافيها، وعندما يزداد امثال هؤلاء في المدن الجماعية فسيساعدهم في ذلك الجمهور من الناس الجهلاء بأن يسلموهم السلطة ليستبدوا بهم[٣٦].

ولهذا فأن نهج الاستبداد للمستبد لا يترك له صديقاً من سكان المدينة يحبه أو يخلص له، ولهذا يقول افلاطون ان هذه المدينة تعيش دائماً في بكاء وخوف كبير وكذلك الحال في نفس المستبد، فنفسه مليئة بالقوة الشهوية على الدوام وكذلك بالرغبات غير المشبعة، ومع ذلك فأن هذا التماثل بين (المدينة الفاضلة والمدينة المستبدة) كان اكثر مما وجد من الشبه بين رجلين يحكمانهما، ولهذا السبب اراد أن يعطي الدليل على شخص المستبد من خلال هذه المماثلة حتى يكون الامر واضحاً.

فضلاً عن أن الدستور الاستبدادي في زمانه كان معروفاً بشكل واسع، إذ كان يستعين بالشعراء حتى يمدحونه فهناك عبارات موجودة تتعلق بالتعبير عن الحكم الذي كان العديد من

الشعراء الذين تربوا في هذه المدن يفضلون هذا الدستور ظانين انه الغرض الاسمى، وفي الوقت نفسه ظانين ان المستبد توجد لديه فضيلة، لذلك يؤيدون هذا الحكم[٣٧].

أذن، هذا هو موقف المستبد، إذ يكون مسجوناً بين هذه الفئة ومليئاً بالغضب والخوف، فضلاً إلى أنه يكون مقيداً بوثاق قوي بحيث لا يستطيع حتى حكم نفسه ، لانه حسود وظالم وليس له صديق، وأن كانت هذه الخصال موجودة فيه قبل أن يكون حاكماً.

المحور الرابع : دراسة الاستبداد في مؤلفات عبد الرحمن الكوكبي[*]:

يعد الكواكبي من المفكرين العرب البارزين في العصر الحديث كونه ينطلق من الواقع المعاش ويفكر بطريقة واقعية، لذلك فهو لم يكتفي بالناحية السلبية التي تصف الاستبداد ، بل درس طرائق مواجهته بكافة العناوين كالدين والعلم والمجد والمال والاخلاق والتربية والترقي...

وقد اجتمعت اراءه النقدية في كتابيه (طابع الاستبداد ومصارع الاستعباد) و (أم القرى)، إذ يعتقد ان الاستبداد آفة، وهذه الآفة تستشري لاسباب كثيرة منها ضعف الأمة تجاه الحاكم، وعدم وجود عقد بين الحاكم والشعب بحيث تلزم الحاكم باحترام حقوق شعبه، فضلاً عن وجود دور للامة في اختيار هذا الحاكم، لذلك يرى أن (الاستبداد السياسي) يستشري ويتسع حيث يوجد (الاستبداد الديني)، بمعنى آخر ان ضعف الاستبداد الديني يؤدي الى ضعف الاستبداد السياسي، إذ يقول (تمحص عندي أن أصل هذا الداء هو [الاستبداد السياسي]، فالمستبدون يتولاهم مستبد، والاحرار يتولاهم الاحرار) [٣٨]، إذ يبين ان علاقات الناس الاجتماعية لو لم تكن فاسدة لما سادها الاستبداد الذي لا يتمكن من الناس الا في ظل الجهل والتعادي ، ولهذا يقول (ان العوام يذبحون أنفسهم بأيديهم بسبب الخوف الناشئ عن الجهل والغباوة) [٣٩]، لكن هذه المسؤولية نسبية، لأن الاستبداد يحفر في عقول العوام لاقناعهم بالباطل وهو هنا يتفق مع ابن رشد في هذه المسألة، فلابد أن يأتي هنا دور العلماء الراشدين المرشدين الذين يجهدون في توعية الناس وفي حثهم على طلب الحرية لانها العدو الطبيعي للسلاطين الاستبداديين[٤٠].

نستنتج عما تقدم، أن هذا الخلط أو الاشتراك بين الاستبداد الديني والاستبداد السياسي قد انعكس سلباً على رؤى العامة فتكون لديهم اعتقاد بأن هناك الكثير من الصفات المشتركة بين عظمة الخالق وجبروت المستبد وبعبارة الكواكبي (يجد العوام معبودهم وجبارهم مشتركين في كثير من الحالات والصفات وغيرها وهم هم، ليس من شأنهم ان يفرقوا ... بين المنعم وولي النعم، وبين جل شأنه وجليل الشأن فيعظمون الجبابرة تعظيمهم لله، ويزيدون تعظيمهم على التعظيم لله لأنه حليم كريم ولان عذابه اجل غائب، اما انتقام الجبار فعاجل حاظر) [٤١].

ومن خلال هذا نستطيع ان نتبين مدى حرص الكواكبي على بناء مجتمع من أهم مقوماته الاصلاح الديني، لأنه مدرك ان المفكر الذي يعيش في مجتمع يشكل فيه الدين ركناً اساسياً في بناء نهضته، ويعتقد أيضاً أن نهضة هذا المجتمع لا يمكن أن تتم من دون الاصلاح

الديني، لأن الدين كان سبباً رئيساً من أسباب نهضته في العصور السالفة، وهذه النهضة التي انجزتها الرسالة المحمدية كانت مبعثاً للتنوير في أوربا ودول الغرب، وما كانت الحضارة الغربية لتصل الى ما وصلت اليه لو لم يكن الشرق الواسطة والحلقة المعرفية التي نقلت حضارة اليونان وصبتها في قالب حضاري جديد يحمل طابع الدين الاسلامي بشكله النهضوي الحواري الذي انفتح على حضارات الامم الاخرى، ولطالما كانت الرسالة الاسلامية دافعاً نهضوياً وبناءاً حضارياً واصلاحاً دينياً ،فقد لاحظنا الكواكبي بالرغم من كونه يعتقد بضرورة العودة إلى النبع الأصيل المتمثل بالرسالة الاسلامية، إلا انه لا يجد مانعاً من الاطلاع على حركات الرقي والتقدم في الحضارات الاخرى وكأنه يعيد لنا سيرة الفلاسفة المسلمين وبخاصة الفيلسوف ابن رشد الذي طالب بضرورة الاستفادة من الامم التي سبقتنا في التقدم، لذلك نجد سيرة الكواكبي وكأنها استنهاض لهذه الرؤى وإعادة قراءة التاريخ في ضوء مستجدات العصر، ولكي يكون نقده للاستبداد الديني وعلاقته بالاستبداد السياسي اكثر نضجاً نجده يعود الى الحضارة اليونانية ويستفيد من طروحاتها في بناء الوعي السياسي الذي يبتغيه المجتمع العربي والاسلامي، على اعتبار ان حكماء اليونان هم اول من استخدم الدين في الاصلاح السياسي[٤٢].

من هنا ينتقل الكواكبي الى تعريف (الاستبداد) فيقول (هو التصرف في الشؤون المشتركة بمقتضى الهوى)، أما (علم السياسة)، فهو (أدارة الشؤون المشتركة بمقتضى الحكمة)[٤٣]، ومن البين ان الفرق شاسع بين التعريفين، إذ يشير أن في مقابل (الإدارة) هناك (تصرف)، وفي مقابل (الحكمة)، هناك (الهوى)، على اعتبار ان الارادة فعل تتم بموجب قوانين محددة، وبالشكل الذي يتوافق العقل لتسيير الامور العمومية وفق مصلحة الامة، لكن التصرف هو فعل مزاجي يتم انطلاقاً من شهوات المستبد ورغباته وبعيداً عن أي منطق أو تفكير يصب في مصلحة المجتمع، وبذلك يكون (التصرف والهوى) بحسب رأي الكواكبي خارج دائرة السياسة، لأنه بحث سياسي، وآفه السياسة هي الاستبداد[٤٤].

وبناء على هذا أخذ الكواكبي يصف الاستبداد بانه (صفة للحكومة المطلقة العنان) فعندما يغيب القانون تتحول العلاقة الى تابع ومتبوع، وقامع ومقموع، بسبب انعدام العقاب الذي يردع الحكام عن جورهم، ثم يبين اشكال الحكومة المستبدة فمنها حكومة الفرد المطلق الذي يتولى بالغلبة او بالوراثة، وحكومة الفرد المنتخب غير المسؤول، أو الجماعة المنتخبة غير المسؤولة، والحكومة الدستورية التي تفرق بين السلطات، لأن شكل السلطة لا ينفي عنها صفة الاستبداد مالم تحتوي على مضمون مراقبة الشعب، فذلك لا يتم الا اذا كان المنفذون مسؤولين امام المشرعين، والمشرعون مسؤولين امام الشعب، فهو يرى أن أشد مراتب الاستبداد هي حكومة الفرد المطلق الوارث للعرش، القائد للجيش... وكلما قل وصف هذه الاوصاف خف

الاستبداد[٤٥]، فأي حكومة مهما يكن العدل ظاهرها وغفل الشعب عن مراقبتها تنقلب الى حكومة مستبدة.

لذلك يتناول الكواكبي عدة مسائل أو طرائق لمواجهة الاستبداد بعد فحصها وتحليلها منها علاقة الاستبداد بالدين؟ وبالعلم؟ وبالمجد؟ وبالمال؟ والاخلاق؟ وبالتربية؟ وبالترقي؟ وسوف نفصل كل واحدة منها بحسب رأيه.

ففي (الاستبداد والدين)، يلاحظ الكواكبي ان بعض العلماء يرون ان الاستبداد السياسي متولد من الاستبداد الديني، وهو لا يعارض هذا الرأي، إذ يعتقد أن البدع هي التي شوهت الاديان، وسبب ذلك (الاستبداد)، لأنه هو الذي يحرف الدين عن طريق مدعي العلم اللذين يحرصون على مصلحة المستبد، مستغلين في ذلك هيبة الدين في قلوب الناس، ومتظاهرين بالتمسك به، في حين ان الاديان براء من كل ما ينسب إليها من استبداد وبخاصة الاسلام الذي جاء هادماً للشرك فالقرآن الكريم فيه الكثير من التعاليم لإماتة ومحاربة الاستبداد واحياء العدل والمساواة، إذ يقول (اللهم ان المستبدين وشركاءهم فقد جعلوا دينك غير الدين الذي انزلت)[٤٦].

اذ ان اعماله هذه أخذت تتبدى كل التيارات الفكرية الأساسية في الوطن العربي، والنضال من اجل احياء الاسلام والنزعة القومية العربية من خلال معاداة الاستعمار، فهو بحق يعد من اوائل المفكرين العرب الذين اهتموا بالعرب والعروبة واسهموا في بناء الاسس الفكرية وربطها بالاسلام في علاقة جدلية فاستحق لقب (مجد الاسلام الاول) ونصيراً للحرية، وخصيماً للاستبداد وعدواً للطغيان، وداعياً مستنيراً يستجيب لصوت الضمير ويستوحي مبادئ الحق[٤٧].

ثم ينتقل الكواكبي إلى (الاستبداد والعلم) فيشير الى ان اقبح انواع الاستبداد هو استبداد الجهل على العلم، فالمستبد لا يخشى علوم اللغة، ولا يخاف من علوم الدين المتعلقة بالاخرة وبعلاقة الانسان بربه، وانما يخاف ويخشى من علوم الحياة، والفلسفة العقلية، وحقوق الامم، فضلاً إلى انه يخاف من العلماء الراشدين والمرشدين، لا من العلماء الذين حشواً رؤوسهم محفوظات كثيرة كأنها مكتبات مقفلة، فأن بين الاستبداد والعلم حرباً دائمة لا تتوقف وكلاها يتجاذبان الشعب، الاستبداد لأذلاله وقتله والعلم لاعزازه واحياءه، ونهاية الحرب كانت واضحة حيثما وجدت وهي فوز العلم على الطغيان، إذ ليس من مصلحة المستبد ان تتنور الرعية، لذلك يعمل دائماً على محاربة العلم، ومن هنا يسعى العلماء لتنوير العقول، ويسعى المستبد لتجهيل الناس معتمداً في ذلك على العوام، لأنهم هم قوة المستبد، في حين يبذل العلماء جهدهم في بث العلم، لذلك فالتخلص من الاستبداد لا يكون الا بالرجوع الى منابع ديننا الحنيف، لأن الاسلام هو أول دين خص على العلم وبين اهميته، ولهذا يحاول المستبد ان ينشر جهلة حتى ينقلب الناس الى مستبدين صغار في كنف المستبد الاكبر[٤٨].

أذن، العلم والاستبداد ضدان لا يجتمعان، لأن العلم غايته البناء الفكري والاقتصادي والاجتماعي، اما الاستبداد فغايته اطفاء نور العلم.

بعدها ينتقل الكواكبي الى موضوع آخر وهو (المجد والتمجيد)، فيقول ان المجد هو احراز مقام الحب والاحترام في قلوب الناس، ولا يناله الانسان الا نتيجة اعمال عظيمة يؤديها لشعبه، لذلك فالمجد انواع منها : مجد الكرم القائم على بذل المال، ومجد الفضيلة ببذل العلم النافع للمجتمع، ومجد النفس وهي اعلى المجد، ثم يميز الكواكبي بين المجد والتمجيد؟ فيقول ان المستبد يحاول الأكثار من المتمجدين ويسعى إلى توسيع دائرتهم، لأنه فرد عاجز لا حول له ولا قوة بغيرهم، أما المتمجدون فهم أعوان المستبد، الذين جعلوا من انفسهم سوطاً يجلد به الحاكم شعبه، ومن هؤلاء القادة العسكرين الذين يستخدمون القوة لاخضاع الشعب لسلطة الحاكم ، اما المثقفون فيستخدمون الثقافة لتبرير افعال الحاكم، فضلاً الى رجال الدين (وعاظ السلاطين)، وهؤلاء الأخطر كونهم يستخدمون الدين لغير اغراضه ويتخذونه سلاحاً للقبول بسلطة الظالم[٤٩].

في حين يحاول الكواكبي الفصل بين (الاستبداد والمال)، إذ يقول (لو كان الاستبداد رجلاً وأراد ان يحتسب وينشب لقال أنا الشر وابي الظلم، وأمي الاساءة، وأخي الغدر، واختي المسكنة، وعمي الضر، وخالي الذل، وابني الفقر، وابنتي البطالة، وعشيرتي الجهالة، ووطني الخراب، أما ديني وشرفي وحياتي فالمال – المال – المال) [٥٠]، لذلك اخذ الاستبداد بتشجيع الخلاف بين الناس حتى يجعلهم يتصارعون لينشغلوا عنه بأحراز المال وصرفه في أفساد اخلاق الناس.

اما علاقة (الاستبداد بالاخلاق)، فهي علاقة سلبية، لأن الاستبداد لا يقتصر امره على كبت الحريات والتصرف بشؤون الدولة تصرفاً كيفياً، بل يتعدى ذلك الى افساد الخلق البشري وتشويه الفضائل، فهو يسلب الراحة الفكرية ويمرض العقول، ولهذا ركز الكواكبي على الاخلاق بما لها من دور مهم في حياة الناس، فبالاخلاق تتحدد علاقة الانسان بذاته وبعائلته وبقومه وبالانسانية، ومن هنا يرى الكواكبي ارتباط الاستبداد بتدني الاخلاق مما يكون ممكناً معه استلاب الاخرين واستغلالهم حتى ترى السياسة الاستبدادية تسود فيشيع الكذب والنفاق، مما يجعل فقدان الثقة بالنفس وبالاخرين، فتتشتت الاسرة وتكبر صراعاتها الداخلية[٥١].

أما علاقة (الاستبداد بالتربية) فأن الكواكبي يرى أن التربية تعد من أهم الميادين التي يصوب إليها المستبد سهام ظلمة واستبداده، ولهذا فهو اعطاه قسطاً وأفراً من الاهتمام ونادى بالتربية الهادفة التي يضمن صاحبها ثمارها الناضجة، لذلك يقول : أن الله عز وجل خلق الانسان وفيه استعداد للاصلاح والفساد، لان التربية هي التي تدفع الانسان في احدى الطريقين، فأهم اصولها وجود المربين، واهم فروعها وجود الدين، وان الحكومة المنتظمة تتولى تسهيل التربية وتعميمها من خلال القوانين التي ترسمها لخدمتها، وهنا يعيش الانسان في ظل دولة

الحرية سعيداً ونشيطاً على العمل عدته التربية الصالحة، أما الاستبداد فهو يفسد الاصول والفروع، فيحرف التربية عن مرماها الصحيح ويقوي خصال الكذب والخداع والنفاق(٥٢).

بعد هذا يصل الكواكبي الى آخر المسائر او الطرائق الا وهو (الاستبداد والترقي) ، إذ يقول ان الامة ما هي الا مجموعة أفراد يجمعها نسب او وطن او لغة او دين وهي تترقى مع ترقي افرادها، والانسان دائماً يسعى وراء الترقي ما لم يعترضه الاستبداد الذي يحول دون الترقي ويحوله الى الانحطاط، وقد يظن بعض الناس ان الدين يقف حائلاً بين الناس والترقي، لكن الحقيقة ان الاديان الصحيحة انما جاءت لترقية الانسان وتهذيب اخلاقه، وهكذا يلاحظ الكواكبي ان اعظم الشرور التي يولدها الاستبداد انما يتمثل في عرقلة الترقي وتحويل سير الامة الى الانحطاط(٥٣).

لذلك فان حديث الكواكبي عن الاستبداد وعلاقته بالدين والعلم والتربية...الخ ، كان متكاملاً ويتعلق بتبين علاقة الاستبداد بالفكر، وينتهي أن رفض الاستلاب من خلال دعوته الى انشاء فكر متنور، لأن التراخي وغياب النقد يؤديان الى انحراف هذا الفكر عن مساره الصحيح، ومن هنا فهو نادى بحكومة عادلة يعيش الانسان في ظلها اميناً على حياته وملذاته وحريته ويتمتع بالعدل والمساواة، فضلاً إلى أنه نادى بالتفريق بين السلطات السياسية والدينية والترقي في العلوم والمعارف من خلال السعي الى الخلاص من الاستبداد، وهذا مشروط بثلاث قواعد أساسية :

اولاً : الأمة التي لا يشعر كلها أو اكثرها بالآم الاستبداد لا تستحق الحرية.

ثانياً: الاستبداد لا يقاوم بالشدة وانما يقاوم بالحكمة والتدرج.

ثالثاً : قبل مقاومة الاستبداد تهيئة البديل .

لأن الناس بدأوا بالاستيقاظ بعد أن التفتوا الى العلم الذي بواسطته يمكن الانسان ان يعيش في مجتمع يحكمه العدل وتسوده المحبة والاخاء(٥٤).

فضلاً عما تقدم نلاحظ أن الكواكبي انطلق في تفسيره للتاريخ تفسيراً فلسفياً من مبدأين وهما:

أ. الفعل الذي يحول الفتور والسكون إلى حركة، وهو المعول عليه في كل رقي حضاري، إذ جاء موقف الكواكبي من أهمية العقل ودوره في البناء الحضاري والثقافي للأمة العربية، ومن واقع تاريخي عاينه وقرأه من سيرة اعلام الفكر العربي الاسلامي وفلاسفته الذين اعتمدوا العقل معياراً للنظر في الطبيعة والاجتماع والسياسة، فهو أراد ان يعطي الاهمية للعقل وقيمته في الرقي الحضاري للامة.

ب. أن اخطر ما يحول دون الرقي (النهضة) العجز الطبيعي ، والاستبداد الأول قدر محتوم (اضطراري) ، لكنه مؤقت ومرهون بأسبابه ، ولا خلاص منه الا باسقاطه(٥٥).

الخاتمة وأهم الاستنتاجات :

١. وجد الباحث ان قراءتنا للمعطيات القديمة والحديثة عن تاريخ الاستبداد واحداثياته ومواقفه ووقائعه تدفعنا الى الاستنتاج بأن الاستبداد السياسي بخاصة، انما يتخذ ملامحة ومكوناته كظاهرة سياسية وكشكل من اشكال الصراع السياسي على السلطة، إلا ان اهميته هذه نراها قد تركزت على اعتباره وسيلة من الوسائل التخويفية ذات الطابع العنفي الشرس والتي يستخدمها الطاغية المستبد من اجل الوصول الى اهداف معينة.

٢. عند قراءتنا لمحاورات افلاطون السياسية نجد ان المستبد هو الذي يستولي على السلطة بالقوة من خلال ممارسة العنف، بعد أن يسعى على التخلص من اخطر خصومة، ولهذا يتعين على السياسي في هذه المدينة ان يقوم على مبدأ (العلم والكفاءة)، لأن هذه المدينة لا يقدر على حكمها الا السلطان العاقل، وتضم خمسة انواع من الدساتير البسيطة، فالدستور الذي يقوم على المجد والشرف هو الذي يعين اهل المدينة بعضهم بعضاً في الحصول على السمعة الحسنة والاعمال الصالحة ويكون حكمها اقرب الى المدينة الفاضلة ، لأن الشرف مرتبط فيها بالفضيلة ، حتى الفلاسفة الذين جاءوا بعد افلاطون قد ساروا على نفس الخطى فدانوا سلطة المستبد باسم (الحكمة الفلسفية)، فضلاً عن انهم نادوا بأنه لا يجوز على السلطة ان تتعدى على هذه المدينة كونها هي الوحدة التامة التي تتمتع بالجمهورية الفاضلة حتى تتحول الى مدينة فاضلة.

٣. نجد ان افلاطون وارسطو قد اكدا في فلسفتيهما بأن الدستور الأفضل هو الذي يتماشى مع الملكية والارستقراطية اللتان ترتكزان على (الفضيلة)، على اعتبار ان الاستبداد هنا يكون متعارض معها ومع (الحكمة والاعتدال)، وفي هذه المسألة نجد أيضاً أن ابن رشد يحاذي الفارابي محاذاة لا يغفلها أي دارس لتراثهما، لأن ابن رشد وضع مؤلفات الفارابي نصب عينيه، فضلاً إلى انه تبنى وجهة نظر ارسطو نوعاً ما حول الاستبداد باعتباره فساداً للنظام الملكي.

٤. وجدنا ان الفارابي يسمي مدينة الاستبداد (بالغلبة) إلا أن هناك ثمة اختلاف بينه وبين ابن رشد في هذه المسألة بالرغم من انه يوجد اساس مشترك بينهما وهو اعتمادهما معا على مصدر واحد وهو (افلاطون) فيما يتعلق بالاستبداد، الا ان ابن رشد كان اكثر دقة من الفارابي من خلال وصفه للاستبداد ، هذا من جانب، ومن جانب اخر، وجدنا هناك اختلاف واضح بين الفارابي وابن رشد فيما يخص (المدينة الجماعية) ، فالاول يعبر عنها بصورة سلبية عكس الثاني فيعبر عنها بصورة إيجابية ، لان التقسيم الايجابي لبعض خصائص السياسة الجماعية عنده انما يناقض فيه افلاطون.

٥. من خلال سير البحث نلاحظ ان الكواكبي كان يفكر بطريقة واقعية - نقدية من خلال معالجته للاستبداد، فهو لم يكتفي بالناحية السلبية، بل درس طرائق مواجهته بكافة العناوين كالدين، والعلم ،والمجد ،والمال، وغير ذلك، وهذا ما وجدنا في كتابيه (طبائع الاستبداد) و (أم القرى) .

٦. يرى الكواكبي أن ضعف (الاستبداد الديني) يؤدي إلى ضعف (الاستبداد السياسي)، بمعنى ان هذا الخلط بين الاستبدادين (الديني والسياسي) قد انعكس سلباً على رؤى العامة بحيث تكون لديهم اعتقاد بأن هناك الكثير من الصفات بين عظمة الخالق وجبروت المستبد – أي ان العوام يجد معبودهم وجباريهم مشتركين في كثير من الحالات والصفات ، وليس امامهم الا ان يفرقوا فيما بينهم، فضلاً إلى أنه أراد بناء مجتمع من اهم مقوماته هو الاصلاح الديني، باعتباره ركناً اساسياً في بناء نهضته، لان نهضة هذا المجتمع لا يمكن ان تتم الا من خلال الاصلاح الديني، وهذه النهضة هي التي انجزتها الرسالة المحمدية كونها مبعثاً للتنوير في أوربا ودول الغرب، فالحضارة الغربية ما كانت لتصل الى ما وصلت إليه الآن لو لم يكن للشرق الحلقة المعرفية في هذا التطور والرقي، ومع ذلك الا انه لا يجد مانعاً من الاطلاع على رقي وتقدم الحضارات الاخرى وبخاصة الحضارة اليونانية بحيث نستفيد من طروحاتها في بناء الوعي السياسي على اعتبار ان حكماء اليونان هم اول من استخدم الدين في الاصلاح السياسي.

٧. يتفق ابن رشد والكواكبي بأن الاجتماع القائم على السياسة الجماعية او حكم الجمهور غايته ان يكون الفرد حراً من أي قيد ، لأن معظم المدن الموجودة هي من ضعف السياسة الجماعية، وبالتالي سيقوم فيها اناس يرغبون في المجد والشرف، واناس يرغبون في امتلاك المال، وآخرون يرغبون في التسلط والاستبداد ، بمعنى ان غاية المستبد هو الحصول على مآربه الخاصة سواء بالرغبة في الغلبة أو الرغبة في الشرف أو الرغبة في الثروة أو الرغبة في اللذة أو كلها جميعاً ، فضلاً إلى ان اهل هذه المدينة لا يسعون الى أيّ غاية سوى خدمة المستبد وتنفيذ رغباته وأرادته، فهم أشبه بالعبيد .

٨. وجد الباحث ان ابن رشد والكواكبي يختلفان مع افلاطون حول مسألة (المدينة الجماعية) إذ يقول الاخير : ان المدينة الجماعية تتحول الى الاستبداد ، وأن امر تحول المدينة الجماعية الى مستبدة انما يشبه تحول دستور القلة الى دستور جماعي لانهما من صنف واحد، وبصورة مماثلة فأن سبب تحول الدستور الجماعي الى استبدادي انما يعود للافراد في طلب الحرية – أي ان المدينة الجماعية يكون تحولها وسطاً بين مدينة الغنى والمال والمدينة المستبدة، على اعتبار ان أي واحد يولد في المدينة الجماعية يكون سيداً على نفسه وهؤلاء

يلغون كل دستور حتى لا يتحكم فيهم أي سيد على الاطلاق، وذلك هو شكل مدينة (الفوضى) واللاسلطة .

٩. من خلال تحليلنا لنصوص الفلاسفة وجدنا ما يؤكد تواصلية مشكلة الاستبداد بدءاً من افلاطون وارسطو من جانب ، والفارابي وابن رشد من جانب ثاني (تراثياً) ، وصولاً الى الكواكبي (حديثاً) من جانب ثالث.

قائمة المصادر والمراجع :

(١) ألبرت حوراني : الفكر العربي في عصر النهضة من (١٧٩٨-١٩٣٩)، ط٣، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٧٧، ص٦٥ .

(٢) جلال العشري : الموسوعة الفلسفية المختصرة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٣، مادة (مستبد).

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) د. معن زيادة : الموسوعة الفلسفية العربية، ط١، المجلد الأول، مركز الانماء القومي، بيروت ١٩٨٦، مادة (استبداد) .

(٦) المصدر نفسه .

(7) إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط، الجزاءن (١ و ٢)، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، تركيا، مادة (طغيان) – فالطاغية هو الذي تجاوز الحد وهو معنى اعم واشمل من الاستبداد، كما ورد ذكره في القرآن الكريم (فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية)، والطاغوت : الكاهن والشيطان وكل راس في الظلال،و ايضاً ورد في القرآن الكريم.

(8) الموسوعة الفلسفية، المصدر السابق، مادة (استبداد)، وايضاً : ابن خلدون، المقدمة، ج١، دار العودة، بيروت ١٩٨١، ص٥١ .

(9) المصدر نفسه، وقارن : د. ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، ط١، دار النهضة العربية، بيروت ٢٠٠٨، ص٦٣٨، وايضاً : د.احمد زكي بدوي، معجم المصطلحات السياسية والدولية، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت ٢٠٠٤، ص٤٣ .

(10) عبد الرحمن الكواكبي : الاعمال الكاملة للكواكبي ، تحقيق محمد جمال طحان ،ط١،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٩٥،ص٤٣٧ .

(11) افلاطون : الجمهورية، ترجمة حنا خباز، ط٣، القاهرة ١٩٢٩، ص١٩٧، كذلك : ارسطو طاليس، السياسة ترجمة احمد لطفي السيد، منشورات الفاخرية، الرياض (ب.ت)، ص١٢٠.

(12) د. حسن مجيد العبيدي : ابن رشد تلخيص السياسة لافلاطون، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق ٢٠٠٨، ص١٧٥ (المقال الثالثة) وأيضاً : افلاطون، الجمهورية ، ك٨، ص١٩٨، إذ يسميه بالنظام الطموحي الا ان الفارابي يسميه مدينة الكرامة للتفصيلات راجع : ابو نصر الفارابي، آراء اهل المدينة الفاضلة، تحقيق د. البير نصري نادر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٩، ص١٠٨ .

(13) العبيدي، ص١٧٦ وأيضاً : افلاطون، ص١٩٩، إذ يقول (وأخيراً تدخل الدولة التي يحكمها مستبد وتنعم النظر فيها، وفي النفس التي تمثلها) أما الفارابي فيقابل ذلك في كتابه آراء اهل المدينة، ص١٠٨ (بمدينة او حكم الغلبة او القهر) للتفصيلات انظر : د. حسن مجيد العبيدي، المصدر نفسه ، الحاشية رقم (٣ و ٤)، ص١٧٦، وكذلك : بحثه حضور الفارابي في الخطاب السياسي لابن رشد، مجلة دراسات قومية واشتراكية، العدد(٢)، بغداد ٢٠٠١ .

(14) المصدر نفسه، ص١٧٧، وأيضا : افلاطون ، ص١٩٩، وكذلك : الفارابي، كتابيه، أهل المدينة الفاضلة، ص١١٠، والفصول المدني، تحقيق دوكلاص دنلوب كبمردج ١٩٦١، ص٥ .

(15) المصدر نفسه، ص١٧٧، اما بخصوص ملك الدساتير والقوانين أو السنن فمأخوذة من كتاب الفارابي الفصول المدني، ص٦٧ للتفصيلات راجع : د. العبيدي، المصدر نفسه، والصفحة نفسها، الحاشية، رقم (٤) .

(16) المصدر نفسه، ص١٨٠ إذ يبين ان الفارابي في كتابة (السياسة المدينة)، نشرة الهند (ضمن رسائل الفارابي)، ١٣٤٦هـ، ص٦٤ كان يعني بها فعلياً الغلبة والقهر والاذلال، ولهذا نلاحظ هنا أشارة إلى الاستبداد الذي هو الشخص (المونارخي) وهذا ما بينه ايضاً ارسطو في كتابه (الاخلاق النيقوماخية)، ترجمة اسحاق بن حنين، تحقيق عبد الرحمن بدوي، الكويت ١٩٧٩، ص٢٩١، لأن هذه الخصلة مذكورة أيضاً عند الفارابي ضمن خصال رئيس المدينة الفاضلة وهي هنا موازية للشرف والغلبة وكما بينه في كتابه (تحصيل السعادة)، نشرة الهند، حيدرآباد ١٣٤٥هـ، لأن هذ الخصلة هي للفيلسوف الحق باعتبارها أحد الشروط التي اشار اليها افلاطون في كتابه (الجمهورية)، ص١٤٧.

(١٧) أفلاطون ، ص١٤٧ وقارن : محمد مهدي محفوظ، اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث ، بيروت ١٩٩٠، ص١٠٦ .

(١٨) موريس كروزيه : تاريخ الحضارات العام، ترجمة فريد داخر وفؤاد ابو ريحان، منشورات عويدات، بيروت ١٩٩٠، ص١٨ .

(١٩) انظر : افلاطون، الجمهورية، ص١٦٠، وأيضاً : ارسطو، السياسة، ص١٣٠، وكذلك : الفارابي، اهل المدينة الفاضلة، ص١١٠، اذ يسمي الفارابي مدينة الاستبداد بالتغلب وهي (التي قصد اهلها أن يكونوا القاهرين لغيرهم .. ويكون كدهم اللذة التي تنالهم من الغلبة فقط) والمذكورة ايضاً في كتابه (السياسة المدينة)، ص٦٠-٦١، فنجد وصف الاستبداد بشكل اكثر دقة في ص٦٤-٦٩.

(٢٠)افلاطون ، ص١٦٠، وكذلك : ارسطو ، ص١٣٢ .

(٢١) ارسطو : السياسة، ص١٣٣، وقارن : اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث، ص١٠٨ وما بعدها .

(*) وهو محمد بن احمد ابن رشد قاضي القضاة ، فيلسوف مسلم ولد في قرطبة من الاندلس (اسبانيا اليوم) عام (٥٢٠هـ/١١٢٦م) وشهرته في الفلسفة كبيرة، له مؤلفات عدة شرح فيها فلسفة ارسطو وسمي بـ(الشارح) وعلى شروحه بنى الاوربيون فلسفتهم في القرون الوسطى وعصر النهضة، إذ عرف عندهم باسم (افيروس) وسمي اتباعه بـ(الافيروسية) وفلسفته سميت (بالرشدية)، فضلاً الى مؤلفات اخرى التي يرد فيها على فلسفة الغزالي، ولاسيما كتبه (تهافت التهافت) و (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) و (الكشف عن مناهج الادلة) وغيرها.. توفى (٥٩٥هـ/١١٩٨م) .

(٢٢) د. حسن مجيد العبيدي : ابن رشد، المصدر السابق، ص١٨٥ وأيضاً : ابن رشد، تلخيص الخطابة لأرسطو، تحقيق محمد سليم سالم، القاهرة ١٩٧١، ص٦٨، وكذلك : الفارابي، كتابيه (اهل المدينة الفاضلة)، ص١١٠، و (السياسة المدينة)، ص٦٩.

(٢٣) المصدر نفسه، ص١٨٨، وايضاً : ابن رشد، تلخيص الخطابة، ص٦٨، وكذلك : الفارابي، السياسة المدينة، ص٦٦ إذ يسميهم بالقاهرين – مدينة الغلبة والقهر (= الاستبداد).

(٢٤) المصدر نفسه ، ص١٩٠، وقارن : ابن رشد، تلخيص الخطابة، ص٦٩، نلاحظ هنا ان ابن رشد قد ذكر حول الاستبداد لان مخطط افلاطون في كيفية تحول الديمقراطية الى استبدادية طغيانية فهو يتبنى وجهه نظر ارسطو نوعاً ما حول الاستبداد باعتباره أفساداً للنظام الملكي. للتفصيلات راجع : ارسطو، الاخلاق، ص٢٩٤ .

(٢٥) المصدر نفسه ، ص١٩١ .

(٢٦) المصدر نفسه ، ص١٩٢-١٩٣، وقارن : أفلاطون، الجمهورية، ك٤ و ك٨، ص١٠٦ و ١٩٨، اما بخصوص (الاطرون) فهي ذكرت بالنص عند ابن رشد تبعاً للفظ اليوناني والذي يعني اجتماع الاستبداد، او الرجل الذي تستبد به شهواته ضد عقله (=الغبي) اما الفارابي فيسمي هذه المدينة بـ(مدينة التغلب والقهر) للتفصيلات راجع : د. حسن مجيد العبيدي، المصدر نفسه ، حاشية رقم (٢)، ص١٩٣، وقارن : الفارابي، اهل المدينة الفاضلة، ص١١٠.

(٢٧) افلاطون : ك٨، ص٢٠١ .

(٢٨) هنا يقصد ابن رشد بحكم القلة من الاغنياء للكثرة من الفقراء ويسميها بالمدينة الاوليغاركية، اذ يحاول ان يقرب المدينة التيماركية من المدينة الفاضلة لانها ما زالت تقوم في حكمها على المجد والشرف والوجاهه، في

حين ان الشرور التي تمتلك مدينة القلة كثيرة وهنا يلخص ابن رشد ما قاله افلاطون في الجمهورية، ك٨، ص١٩٨، لمزيد من التفاصيل راجع : د. حسن مجيد العبيدي، ابن رشد تلخيص ...، ص٢٠١ .

(٢٩) المصدر نفسه ، ص٢٠٩، وقارن : افلاطون، الجمهورية، ك٨، ص٢١٣-٢١٤ وكذلك : الفارابي، المدينة الفاضلة، ص١١٠ .

(٣٠) المصدر نفسه ، ص٢١١، وأيضاً : افلاطون، ص٢١٥ .

(٣١) المصدر نفسه ، ص٢١٢، وأيضا : ٢١٦ .

(٣٢) المصدر نفسه ، ص٢١١، وايضاً : افلاطون ، محاورة القوانين، ترجمة من اليونانية الى الانكليزية د. تيلور، تيلور، نقله الى العربية محمد حسن ظاظا، مطبعة الهيئة المصرية، القاهرة ١٩٨٥، ص١١٣ فابن رشد هنا يتوسع كثيراً على نص افلاطون في الجمهورية، ك٨، فضلاً إلى أن افلاطون لا يذكر الفلاسفة والمدينة الفاضلة والاشرار فيها، بل يذكر الاطباء والاعضاء الفاسدة في الجسم.

(٣٣) المصدر نفسه ، ٢١٦، وأيضاً : افلاطون، الجمهورية، ك٩، ص٢٢٢، وكذلك : الفارابي، اهل المدينة الفاضلة، ص١١١، اذ يميز بين المدينة الفاضلة والمدينة الضالة .

(٣٤)المصدر نفسه، ص٢١٨، وكذلك : افلاطون، ك٩، ص٢٢٣ .

(٣٥) المصدر نفسه ، ص٢١٨، اذ يشير العبيدي أن ابن رشد قد استبدل لفظة (الالهة) عند افلاطون بلفظة (الملائكة) بمفهومها الاسلامي، فيقول افلاطون (نعلم ان من جن واختبل عقله يحلم ويسعى الى ان يسود الناس والالهة...) للتفصيلات راجع : افلاطون، الجمهورية، ك٩، ص٢٢٤ .

(٣٦) المصدر نفسه ص٢١٩ .

(٣٧) المصدر نفسه ، ص٢٢١ هنا يمكن ارجاع ذلك الى ان ابن رشد لا يتفق مع افلاطون حول هذا التقسيم، ولكن بنفس الوقت يؤيد اللغة الاصطلاحية لافلاطون، ويتبنى من الفارابي ما هو وثيق الصلة بالموضوع الخاص للنقاش والتي لفتت الانتباه الى تلك الاستعارات مثل المدن الجاهلة او الضالة، لكن ابن رشد هنا ترك وصف الفارابي لمثل هذه المدن الثلاث كالمدينة الفاسقة، والمدينة المبدلة او المتبدلة، راجع : د. العبيدي، المصدر نفسه .

(*) وهو عبد الرحمن احمد بهائي الكواكبي ولد في مدينة حلب عام (١٢٧١هـ/١٨٥٤م)، إذ تلقى مبادئ العلم، فدرس العلوم الشرعية في المدرسة الكواكبية، واتقن اللغتين التركية والفارسية، فكل ذلك اعانه على الاطلاع على فنون متعددة من الثقافة العامة، فكتب التاريخ والقانون ونظم الحكم بخاصة مما ساعده على فتح مكتب محاماة لنصره المظلومين من ابناء الشعب فكان عطوفاً على الضعفاء حتى سماه الحلبيون بأبي الضعفاء، اشتغل في تحرير جريدة (الفرات) الرسمية لمدة خمسة اعوام، وعندما بلغ الثانية والثلاثون من عمره اسس جريدة (الشهباء) وبسبب ميله الكبير الى الاصلاح وافكاره التقدمية جردته الحكومة من املاكه وحاولت وضعه في السجن، بعدها غادر الى مصر، اشهر مؤلفاته الاجتماعية – السياسية كتابيه (طبائع الاستبداد) و (أم القرى) اللذان طبعا بمصر، توفى (١٣٢٠هـ/١٩٠٢م) .

(٣٨) عبد الرحمن الكواكبي : طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، مطبعة دار المدى، سوريا، ٢٠٠٤، ص٣٧.

(٣٩) المصدر نفسه ، ص٣٨ .

(٤٠) المصدر نفسه ، ص٣٩ .

(٤١) المصدر نفسه ، ص٤٠ .

(٤٢) المصدر نفسه ، ص٣٢ .

[43] المصدر نفسه ص٤١ .

[44] المصدر نفسه ، ص٤٢.

[45] عبد الرحمن الكواكب : الاعمال الكاملة، المصدر السابق ، ص٨٣ .

[46] طبائع الاستبداد، ص١٠ وما بعدها .

[47] د. عثمان امين : رواد الوعي الانساني في الشرق الاسلامي، دار القلم للنشر، القاهرة ١٩٦١، ص٨٧، وقارن : د. عبد الزهرة مكطوف، الفكر السياسي في المشرف العربي، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد ٢٠٠١، ص١٤٤ .

[48] طبائع الاستبداد، ص٢٨ وما بعدها، وقارن : قدري قلعجي، عبد الرحمن الكواكبي، دار الشرق الجديد، بيروت ١٩٦٣، ص١٨ .

[49] المصدر نفسه ، ص٣٣ وما بعدها ، وأيضاً : قدري قلعجي، ص٦١ .

[50] المصدر نفسه ، ص٥٠ .

[51] المصدر نفسه ، ص٦٥ وما بعدها وقارن : ز. أليفين، الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث في لبنان وسوريا ومصر، ترجمة عن الروسية بشير السباعي، ط١، بيروت ١٩٧٨، ص٢٥٥ وكذلك : نوربير تابيرو، الكواكبي، المفكر الثائر، ترجمة علي سلامة، ط٢، منشورات دار الاداب، بيروت ١٩٨١، ص٣٤ .

[52] المصدر نفسه ، ص١٠٢، وكذلك : قدري قلعجي، ص٦١ وللتفصيلات راجع : جرجي زيدان، بناه النهضة العربية، دار الهلال، مصر ١٩٥٧، ص٩٠ .

[53] المصدر نفسه ، ص١٠٧ وما بعدها.

[54] المصدر نفسه ، ص١٠٨ .

[55] المصدر نفسه ، ص٤١٨ وقارن : د. علي حسين الجابري، فلسفة التاريخ في الفكر العربي المعاصر، القسم الاول، مطبعة دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٩٣، ص٢٩٢ .

الخلاصة

أن دراستنا في هذا البحث ستتركز في دراسة الاستبداد بعامة، والاستبداد السياسي بخاصة، عند كل من الفيلسوف ابن رشد والمفكر العربي عبد الرحمن الكواكبي، ذلك أن الاستبداد عندهم يتحول إلى مفهوم أعم وأشمل، ألا وهو الطغيان، باعتباره وجهاً من وجوهه عندما يمتلك القدرة والقوة والسلطة، إلا انه يحافظ على جوهر الرؤية الأحادية غير القابلة للنقد، ومن هنا نجده موجوداً في الحرية باعتبارها استبداداً للفرد، وفي الديمقراطية باعتبارها استبداداً للجماعة.

ومن خلال قراءتنا في كل هذه المعطيات عن تاريخية الاستبداد ومواقفه ووثائقه لنصوص الفلاسفة بدءاً من أفلاطون وأرسطو حتى الفارابي نجد أن السياسة في كتاباتهم قد شكلت المقصد الأسمى لكل فلسفة عظمى، فكانت الأسئلة التي يطرحونها باستمرار هي: ما هو المبدأ الأساسي للتنظيم السياسي؟، وما هي الروابط التي تربط الحكام والمحكومين؟، وأين تكمن ماهية السلطة؟.

Abstract

Our study in this research will focus in the study of totalitarianism in general, and political tyranny in particular, when all of the philosopher Ibn Rushd, the Arab intellectual Abdel-Rahman Al-Kawakebii. The tyranny have turned to the concept of a broader and more comprehensive, namely, the tyranny, as the face of the faces when they have the ability, power and authority However, it preserves the essence of the unilateralism of non-cash, and here we find is located in the freedom of the individual as a despotic, and in democracy as the tyranny of the group.
By reading all of these data for historical tyranny, attitudes and documentation of the text of philosophers from Plato and Aristotle to Farabi find that the policy in their writings have formed the destination ultimate of philosophy superpower, were the questions that they might constantly is: What is the basic principle of political organization?, And what ties that bind rulers and ruled?, and where what is power?.